على الرغم من أنّ الدراسة الصّوتية لدى ابن سينا لم تكن مقصودة ، ورغم بعـــــــده عن الميدان اللغوي ، إلاّ أنّه بزّ غيره في الكثير من القضايا الصّوتية ، و لم يكن ذلك بالعسير عليه ، بل إنّ القارىء لمؤلّفاته ليجد أنّه أحرص من غيره على ضبط المصطلحات والمفاهيم التي شاكلت كثيرا المفاهيم الصّوتية الحديثة .

وقد أفضت بنا رحلتنا في المصطلح الصّوتي عند ابن سينا إلى مجموعة من النّتائج مـــنـــــــها :

1 ــ كُـــتُبُ ابـــــن سيـــــــنا التي تضمّنت الدراسة الصوتية و خاصّة رسالته الفريدة من نوعها " رسالة أسباب حدوث الحروف " ، تزاحمت في جُملها المصطلحات الكثيرة التي عبّر بها عن المسائل العامة ، وعن الظواهر الصوتية المختلفة ، فلا نجدُ فيها حشوا أو تكريـــرا بل يحتاجُ المطّلع عليها إلى إمعان النظر و إعمال الفكر .

2 ــ هناك عدّة عوامل ساعدت ابن سينا على بلورة مصطلحاته منها استفادته ممّا تركه نحاة و لغويوا العربية من مادّة علمية غنيّة ، وما تُرجم من الفكر اليوناني ، بالإضافة إلى ثقافـــتـــه الموسوعيّة ، وتوظيف معَارفهِ المختلفة كالطبّ و الفلسفة ، و الموسيقى.

3 ــ كان ابن سينا شديد الحرص على ضبط مصطلحاته ، وما هذه المذكرة إلاّ دليلا يُؤكّـــدُ ذلك.

4 ــ هناك دافعان جعلا ابن سينا يخوضُ غمار البحث الصّوتي ، الأول العناد و الرّغـــــبة في وُلوج الصّعب وحُبِّ المعرفة ، و الثاني الإجابة عن عدد من الأسئلة التـــــــي طرحها على نفسه من نحو سُؤاله عن طبيعة العملية الصّوتية ؟ وما هي الكيفية التي تحدث بها ؟ وكيف لها أن تُنقلَ من مصدرها إلى مُتلقّيها ؟ ومن هنا ، كانت الإجابات عن هذه الأسئلة المدخل الذي فتح الباب على هذا العلم ــ الأصوات ــ

5 ــ برع ابن سينا في تحديد مصطلح " الصوت " ، ودرس جوانب منه لم يتفطّن إليها غيـــره ــ نحاة و لغويون وحتى فلاسفة ــ وكانت محلّ إعجاب الأصواتيين المحدثين حيث عرف فروع علم الأصوات الثلاثة : فيزيائي ، و أكوستيكي ، وسمعي ذهني.

6 ــ إنّ إجابة ابن سينا عن ما وراء الطّبيعة جعلته يهتمّ اهتماما دقيقا بالبحث الفيزيائي الذي ساعده في تفسير الكثير من القضايا الصوتية كالصوت مثلا .

7 ــ توصّل ابن سينا إلى أنّ القرع أو القلع و التموّج ليسا هما الصوت ، وإنّما هما سببـــــا الصوت ، كما اشترط أن يكون القرع أو القلع بين جسمين صلبين حتّى يُولّدَا حركة متنقلة في شكل ذبذبات تلتقطها الأذن ، أمّا القرع بين الأجسام اللينة كالـــــصّوف والقطن فلا نكادُ نشعرُ بأصواتهما لأنّهما أدنى من أن تلتقطهما الأذن .

8 ــ توصّل ابن سينا إلى أنّ الهواء يُعتبرُ أنسب الأوساط لانتقال الصّوت ، وهو ما تـــوصّل إليه المحدثون أيضا.

9 ــ إنّ براعة ابن سينا في المجال الطبّي جعلته يذكرُ كلّ مصطلحات جهاز النطق ، مُوضّحا و ظيفتيه الحيوية و الإنسانية أو الفيزيولوجية .

10 ــ ميّزَ ابن سينا بين مصطلحي " الصوت " و " الحرف " حيث خصّ المصطلح الأول بالأصوات الطّبيعية ، في حين خصّ المصطلح الثاني بالأصوات اللغوية .

11 ــ لم يذكر ابن سينا مصطلح " الوترين الصوتيين " ــ وهما المسئولان عن عمليتي الجهر و الهمس ــ لكن هذا لا يعن أنّه لم يعرفهما ، أو لم يُدرك الاهتزاز الذي يُصاحب بعض الأصوات دون سِواها . و ذكر في المقابل مصطلح " الجرم الشبيه بلسان المزمار " للدلالة على الوترين الصوتيين . ومعرفته للغضروف " الطرجهالي " و " الدرقي " دليل قاطع على معرفته بهما . فقد أثبتت الدراسات الصوتية الحديثة أنّ الوترين الصوتيين يلتقيان عند الغضروف الدرقي أو الترسي ، ويتحكم فيهما الطرجهالي .

12 ــ إنّ استعمال ابن سينا لمصطلح " التناسب " الذي لطالما ألفيناه عند الرياضيين جعله يتوصل لحقيقة الجهر و الهمس.

13 ــ لم يتعرّض ابن سينا للمصطلحات الضّابطة لصفات الأصوات إلاّ للقليل منها ورغم ذلك فهو تفرّدَ بمصطلحات لم يشركه فيها غيره ، الأمر الذي يدل على وُجود منظومة اصطلاحية خاصة به ، ومن تلك المصطلحات نذكر : المفرد و المركب ، والرطوبة

واليبس ، و المحبس ، و الطرجهالي ، والذي لا اسم له ، وكما يبدو على هذين المصطلحين الأخيرين أنّهما غريبين ــ و الأصحّ أنهما ليسا كذلك ، لأنّ الاستعمال قد هجرهما ــ وترجع هذه الغرابة في رأينا إلى بُعدِ زمننا الحاضر عن عصر ابن سينا و كذا أصله الفارسي .

14 ــ إنّ الدراسات الحديثة في علم الأصوات تُغفلُ المصطلحات الصوتية عند الفلاسفة العرب ، و تستعمل مصطلحات مترجمة من اللغات الأخرى ، و لذلك تتعدد المصطلحات بتعدد المترجمين مثل مصطلح " المفرد " وهو مصطلح استعمله ابن سينا ، ولا يستعمله المحدثون ، و إنّما يستعملون مصطلح : انفجاري ، انسدادي ، آني ...

15 ــ فرّق ابن سينا بين مصطلحي " الصوامت " و "المصوتات " ، حيث خصّ المصطلح الأول بالأصوات المركبة و المفردة التي لها مخرج محدد ، وتنتج عن ضغط و حفز الهواء في حين خص المصطلح الثاني بأصوات المد الطويلة والقصيرة التي لا مخرج محدد لها ، وهو تفريق في غاية الدقة و الخطورة ، حيث تبناه الأصواتيون المحدثون دون تغيير لا في التسمية ولا في الوظيفة.

16 ــ رغم اعتراف ابن سينا بأنّ أمر المصوتات كالمشكل عليه إلاّ أنّه توصل لحقيقة في غاية الخطورة تُقرّها الدراسات الصوتية الحديثة ، وهي أنّ الفرق بين المصوتات القصيرة و الطويلة هو فرق في كمية الهواء لا غير .

17 ــ رغم قلّة مصطلحات الدراسة التشكيلية التي ذكرها ابن سينا ، إلاّ أنه أدرك ما يعتري الأصوات حالة التركيب ، وهذا في حدّه دراسة تشكيلية .

18 ــ مُعالجة ابن سينا للصوت في حالة السياق الكلامي مهّدت لظهور مصطلحات صوتية حديثة كانت ولا تزال محلّ بحث المحدثين كمصطلحي : الفونيم و الألفون .

19 ــ على الرغم من أنّ دراسة ابن سينا الصّوتية لم تكن مقصودة ، إلاّ أنّ مصطلحاته كانت دقيقة استطاعت أن تصل إلى مُعاصريه ، و تُواكبَ مصطلحات الدرس الصوتي الحديث ، حتى أنّ بعضها تبنّاه المحدثون دون تغيير لا في التسمية ولا في النتائج المتوصل إليها كالمقطع و النبر و التنغيم .

20 ــ إنّ هناك خلافا في استعمال عدد من المصطلحات ، ولو نُظرَ إلى مصطلحات الفلاسفة القدماء ولا سيما ابن سينا لعُدَّ هذا الخلاف لا غيا ، مثل الخلاف في مصطلحات المصوّتة و الصّامتة و الصّائتة و السّاكنة . فقد استعمل ابن سينا المصطلحين الأوّلين ، وكان الأولى اتّباع هذين المصطلحين وعدم الدخول في نقاشات ليس لها طائل .

21 ــ اعتمد ابن سينا طريقتين لضبط مصطلحه :

أ ــ التعبير عن المفهوم الواحد باللفظ الواحد كما في مصطلحي : المفرد و المـــــــركب .

ب ــ تعدّد المصطلح للفكرة الصوتية الواحدة كما هو الحال في تعبيره عن المجرى بالمخرج و المسلك .

22 ــ ما يُميّز ابن سينا عن غيره من الفلاسفة و اللغويين أنّه لا يقتصر على استعـــــــمال المصطلح بصورة واحدة ، بل كان يُنوّعُ في استعماله على هيئات مختلفة ، كالمصدر و الفعل و اسم الفاعل و اسم المكان ...

23 ــ تقويم مصطلحات ابن سينا في ضوء الدرس الصوتي الحديث ، تُؤكّد عمقها وجِدّتها و دقّة ملاحظ ابن سينا على الرغم من الإمكانات التحليلية المتواضعة لديه و التقدّم العلمي و التّقني الهائل في الدراسات الصوتية الحديثة ، حيث اتّفقت مُعظمُ مصطلحاته الفونيتيكية والوظيفية مع الوصف الحديث.

24 ــ كان ابن سينا يُراعي الدلالات اللغوية للمصطلحات التي يستخدمها ، فلا يـــــزيد في أكثر الحالات على تخصيص مجالها الدلالي كالتموج و الحدة و الثقل و الصفير والمحبس .

25 ــ أفاد ابن سينا الدرس الصـــوتي الحـــديث بمـــصطلحات شـــــتى لازالت تستعمل في الدراسات الصوتية الحديثة كمصطلح : التموج ، و الثقل ، و الحدة.

26 ــ جهود ابن سينا ذات قيمة لتخصّص دقيق لا تزال أبحاثه متواصلة إلى اللحظة كما تجدرُ الإشارة إلى أنّ جُلّ جُهوده ما زالت حيّة تتداولها الأبحاث الصّوتية الحديثة في الـــغرب و معنى هذا أنّ تُراثنا العربي يحتوي على مُدوّنة في الصوتيات العربية في أبهى صُورهـــا . والمطلوب هو الدراسة و الجمع و الترتيب و الاجتهاد .

27 ــ قدّم ابن سينا بهذه الدراسة و المصطلحات الصوتية أعمالا قيّمة تـــــقفُ على قدم المساواة مع معطيات الدرس الصوتي الحديث ، وأرجو أن تُحفّز مثل هذه الدراسات لتُراثنا اللغوي العربي الباحثين و الدارسين في الإقبال على هذا التراث العلمي الزّاخر لـــــدراسته و إعادة قراءته في ضوء المناهج العلمية الحديثة .

وأخيرا ، فالحمد و الشكر أوّلا و آخرا لله وحده ، مثنية و مترحمة على من أفدنا مـــــنهم من علماء و باحثين أحياء و أمواتا في الوطن العربي الكبير ، ووطني الجزائر العزيز ﴿ **وَمَـــــا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ** .﴾ ــ سورة هود الآية 88 ــ وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربّ العالمين .